باستار الكعبة وغيره وحرم دار ابي سفيان فان قلت هذه السورة مكية وانت حل
بهذا البلد اخبار عن الحال والواقعة التي ذكرت في اخر مدة بهجرته الى المدينة
فكيف الجمع بين الامرين اجيب بانه قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبل كقوله
تعالى انك ميت وانهم ميتون وعلى كل حال فهذا متضمن للقسم ببلد رسوله عليه
السلام ولا يخفى ما فيه من زيادة التعظيم وقد روي ان عمر ابن الخطاب رضي الله
عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من
فضيلتك عند الله ان اقسم بحياتك دون ساير الانبيا ولقد بلغ من فضيلتك عنده
ان اقسم بتراب قدميك فقال لا اقسم بهذا البلد وقال تعالى والعصر ان الانسان
لفي خسر اختلف في تفسير العصر على اقوال فقيل هو الدهر لانه مشتمل على الاعاجيب
لانه تحصل فيه السرا والضرا والصحة والسقم وغير ذلك وذكر العصر التي تمضيه
بنقص عمرك فاذا لم يكن في مقابلته كسب صار ذلك عين الخسران ولله در القايل

"انا لنفرح بالايام نقطعها * وكل يوم مضى نقص من الاجل"

وفي تفسير الامام فخر الدين والبيضاوي ووافقه عليه العلامة وغيرهما انه اقسم
بزمان الرسول صلى الله عليه وسلم قال الامام الرازي واحتجوا له بقوله صلى الله
عليه وسلم انما مثلكم ومثل من كان قبلكم مثل رجل استاجر اجيرا فقال من يعمل من الفجر
الى الظهر بقيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل لي من الظهر الى العصر بقيراط
فعملت النصارى ثم قال من يعمل لي من العصر الى المغرب بقيراطين فعملتم فغضبت
اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا فقال الله تعالى وهل نقصت
من اجركم شيا قالوا لا قال فذلك فضلي اوتيه من اشا فكنتم اقل عملا واكثر اجرا رواه
البخاري قالوا فهذا الحديث دل على ان العصر هو عصره الذي هو فيه فيكون
على هذا اقسم تعالى بزمانه في هذه الاية وبمكانه في قوله وانت حل بهذا البلد
وبعمره في قوله لعمرك فكانه قال وعصرك وبلدك وعمرك وذلك كله كالظرف
له فاذا وجب تعظيم الظرف فكيف حال المظروف قال ووجه القسم كانه تعالى قال
ما لكم خسرانهم اذا اعرضوا عنك انتهى النوع السادس في وصفه تعالى له عليه
الصلاة والسلام بالنور والسراج المنير اعلم ان الله تعالى قد وصف رسوله صلى
الله عليه وسلم بالنور في قوله تعالى قد جاكم من الله نور وكتاب مبين وقيل
المراد القران ووصفه عليه الصلاة والسلام بالسراج المنير في قوله تعالى انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا والمراد كونه هاديا
مبينا كالسراج يرى الطريق ويبين الهدى والرشاد فبيانه اقوى واعم وانفع
من نور الشمس واذا كان كذلك وجب ان تكون نفسه القدسية اعظم في النور
من الشمس فكان الشمس في عالم الاجسام تفيد النور لغيرها ولا يستفيد من غيرها

فكذا

فكذا نفس النبي صلى الله عليه وسلم تفيد الانوار العقلية لساير الانفس البشرية و
ولذلك وصف الله الشمس بانها سراج حيث قال وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وكما وصف
الله تعالى رسوله بانه نور وصف نفسه المقدسة بذلك فقال الله نور السموات
والارض فليس منها نور الا الله ونوره القدسي هو سر الوجود والحياة والجمال
والكمال وهو الذي اشرق على العالم فاشرق على العوالم الروحانية وهم الملايكة فصارت
سراجا منيرة يستمد منها من دونها بجود الله ثم سرى النور الى عالم النفوس الانسانية
ثم طرحته النفوس الى صفحات الجسوم فليس في الوجود الا نور الله الساري الى الشي
منه بقدر قبوله وسع استعداده ووجب تلقيه والنور في الاصل كيفية يدركها
الباصرة اولا وبواسطتها ساير المبصرات كالكيفية الفايضة من النيرين الشمس والقمر على
الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله الا بتقدير مضاف
كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او بمعنى منور السموات والارض فانه تعالى نورها بالكواكب
وما يفيض عنها من الانوار وبالملايكة والانبيا من قولهم للرييس الفايق في التدبير
نور القوم لانهم يهتدون به في الامور ويؤيد هذا القول قراة علي بن ابي طالب
وزيد بن علي وغيرهما نور فعلا ماضيا والارض بالنصب وقوله مثل نوره اي مثل
هداه سبحانه وتعالى واضاف النور الى السموات والارض اما دلالة على سعة اشراقه
وفشو اضاته حتى تضي له السموات والارض واما لارادة اهل السما والارض وانهم
يستضيون به وعن مقاتل اي مثل الايمان في قلب محمد كمشكاة فيها مصباح و
فالمشكاة نظير صدر عبد الله والزجاجة نظير جسد محمد صلى الله عليه وسلم و
والمصباح نظير الايمان والنبوة في قلب محمد وعن غيره المشكاة نظير ابراهيم والزجاجة
نظير اسماعيل عليهما السلام والمصباح جسد محمد صلى الله عليه وسلم والشجرة
النبوة والرسالة وعن ابي سعيد الخراز المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم
والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعل الله في قلب محمد صلى الله عليه وسلم
وعن كعب بن جبير النور الثاني هنا محمد صلى الله عليه وسلم وعن سهل بن عبد الله
مثل نور محمد اذا كان مستودعا في الاصلاب كمشكاة صفتها كذا وكذا واراد
بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة
توقد من شجرة مباركة اي من نور ابراهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله
تعالى يكاد زيتها يضي اي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل
كلامه حكى هذا القول الاخير القاضي ابو الفضل اليحصبي والفخر الرازي لكنه
عن كعب الاحبار وعن الضحاك يكاد محمد يتكلم بالحكمة قبل الوحي قال عبد الله
ابن رواحة "لو لم تكن فيه ايات مبينة * كانت بديهته تنبيك بالخبر"
لكن التفسير الاول في هذه الاية هو المختار لانه تعالى ذكر قبل هذه الاية ولقد

Copyright King Saud University